

النقد والتأليف

الدوبرا أردشير

رد على نقد

إلى... نحرر (العصور)

اطاعت على ما كتبته (العصور) الغراء نقداً للدوبرا (أردشير وحياة النفوس) وأناى لمغتبط بهذه العناية الجدية التى توجهها مجلتكم الى النقد الحر. ومثل هذا النقد يكاد يكون معدوماً فى مصر، فمن الواجب على كل أديب غيور على حرمة الادب أن يرحب به ويشجعه. ومن أجل هذا فأنى اؤكد لكم ترحيبي به وأستزيد منه حضرة الكاتب الناقد، وما أكتب هذه العجالة إلا لدفع سوء ظنه بى فقط، لأنى لا أريد أن يسيطر هذا الظن — وبعض الظن اثم — على تفكيرى، فتكون النتيجة أن يذهب هذا بجمال بحثه النقدي، فيتمضى الغرض الشخصى على نزاهة الحكم وتضييع الفائدة.

ليشق حضرة الناقد الفاضل أولاً بأنى غير راض عن نفسى، وثانياً بأنى لا أعرف الاعتداد بها إلا فى موقف الدفاع فقط حينما أرى تحاملاً على، فاضطر الى المقارنة بين جهدى وجهد سواى، والشواهد على هذا كثيرة، فلو أحسن حضرة الناقد ظنه بى لوجد أن ما يعيبه على حسنة أحمد عليها، ولو وجد أن المقصود بتمامك الفصول التحليلية فى كتبى ليس التقرىظ بالذات — فتمد لا تخلو من نقد بل من نقد شديد أحياناً — وإنما المقصود عرض دراسة جديدة للادب، بغض النظر عن قيمة تلك الدراسة، وما علونى أى أديب بشبه دعوة الى تقرىظ بل بدعوة الى دراسة نقدية حرة، فكان الاجدر بحضرة الناقد أن يوجه لومه الى أولئك الكتاب على ما لا يرضيه من كتاباتهم بدل توجيهه الى. وأناى أوافق حضرة على أن هذه الكتابة لا تزيدنى قدراً بمقال ذرة، ولكنها لا تنقص من شأنى، إذ أن المقصود منها كما ذكرت تشجيع البحث النقدي والتحليلي، فهى حرة إذن بالتشجيع بدل المؤاخذة

وهي في الواقع مشكورة عند كثيرين من الادباء في الاقطار العربية ويرحب بها الادباء المستشرقون على الاخص ويعتبرونها جزءاً متمماً للتأليف.

لو تخلى حضرة الناقد عن هذا الظن الذي لا تبرره الشواهد — لا سيما وان أسقم الاذواق لا يتقبل نشر مقالات تقريرية بهذه الصورة المنتظمة رغبتاً في التقرير — لا ألفت الى الجوهر فإفادنا بملاحظاتة النقدية عنه. فبدل أن ينقل شيئاً من تقدير الاستاذ سعيد ابراهيم معرضاً به كأن في وسعه مثلاً نقل ما كتبه حضرة الكاتب المذكور من نقد صريح وكان من المفيد أن يقول لنا رأيه في هذا النقد. فتصرفه هذا يحزن ظاهر يعاب عليه، ولو فرضنا أن نقده صحيح لما كان نقداً أدبياً بل لكان نقداً خلقياً بحتاً، وعلى هذا فاني أشكره على محاولة تأديبي وتهذيبي ..

وهذه الاوبرا (أردشير) — التي هي موضوع النقد — تنحصر مقدماتها في ما يأتي : (١) كلمة تصدير (٢) مقدمة الكتاب وفيها نقد مفيد للرواية (٣) فصل في تلحين الاوبرا (٤) موضوع القصة ، ويتبع ذلك بيان موجز عن أشخاص القصة ونسق التمثيل . فكيف يكون هذا داعياً للوم بدل التحبيذ والتشجيع حتى تصبح مثل هذه الشروح مألوفة في التأليف الادبية العصرية ؟ وهل لا يكون النقد نقداً إلا اذا تجرد كل التجرد من التقرير ؟! وهل التقرير التحليلي في ذاته — وان يكن خطأ — عديم الفائدة الادبية ؟ ان ضياع الخبر والورق انما يكون في الكتابة المبهمة ، وفي القديم المعاد الذي شبعنا منه ، وفي محاولة تشويه الحقائق الناطقة . فما بال حضرة الناقد ينسى اولئك الذين يعيشون للشهرة وللشهرة فقط ويحاولون تسخير الصحافة للملم واهوائهم .

اذا صح أن حضرة الناقد الفاضل متضلع من الادب الاوروبي عامة كما أحسب فمن الغريب جداً ان ينكر على أخيلة ومعاني انتظر من مثله تقديرها ، وان لم أنتظر ذلك ممن اقتصر محصولهم الادبي على الشعر والنثر العربي . على أن هذه مسألة روحية وذوقية فلا تحتمل المناقشة كثيراً، وانما الذي اعترض عليه باسم هو تحدته عما يسميه حشواً أو تفككاً في نظمي ، لان مثل هذا النقد جدير به سوى ، فهو على عكس طبعي تماماً ، وتقيض مذهبي وغايتي .

وانى دائماً أعتبر التعيين فى النقد محبة وفائدة، فلننظر فى المثل الذى ذكره
 حضرته كشاهد على صحة دعواه: فهذا الفصل الاول يبدأ بمنظر الايوان والعرش فى
 قصر الملك السيف الاعظم شاه فى شيراز؟ وقد انتظم كبار الحاشية سيدات ورجالاً
 ملتفتين الى مدخل الايوان لاستقبال الملك والملكة وولى العهد والوزير عن جانبي
 العرش، وحينئذ تنشد الحاشية نشيد الاستقبال وفى مطالعه اشارة عامة الى الملوك
 والملكات ثم اشارة صريحة الى الملك ثم اشارة اخرى الى الملكة ثم تنويه بولى العهد
 فما ذكره حضرة الناقد انما هو الاشارة العامة فى مستهل النشيد، فلماذا لم يعرضه كله
 وهو غير طويل — لحكم القارىء ما دام يريد أن يعزز اتهامى بانى شغف بالحشو
 والتفكك؟ جاء فى أول النشيد:

الجلال والسيادة للملوك * الاكابر
 والجمال والعبادة لا الشكوك * للاراهر

فلو ترجمنا هذا حرفياً الى الانجليزية لكنت الترجمة مشعرة بان المقصود فى
 هذا الموقف وفى هذه المناسبة انما هم الملوك العظام والملكات الحسان وما شق على
 أى أديب فهم كلمة (Doubts) وهى ترجمة «شكوك» بل لوجد فيها معنى شعرياً دقيقاً
 فليتأمل إذن حضرة الناقد أن فى نظمي روحاً أوروبية لا يرضى عنها وابها ما أو اغرابا
 لا يسره، وليقل ما شابه هذا النقد المقبول، واما تحدته عن حشوى وتفكك نظمي
 فالاولى به السادة المحافظون خلفاء السلف الصالح، فهم أعداء الاقتصاد اللفظي
 وأعداء الوحدة التنظيمية التى أحرص عليها بل أقدمها، وأغابهم دافع تقليد لاشاعر
 متابع.

ومن العجب أن مالا يفهمه حضرته يفهمه ويقدره أهل التمثيل الفنائى
 والاعوان، ولا خلاف بينى وبينهم إلا فى المسائل المادية فقط فيما بينى وبينها من
 اعتبارات، وهذا لاصلة له بالادب.

إنى لا أطلب جزاءً ولا شكوراً، واست فى ضميرى راضياً عن نفسى، وهذا
 ما يدفعنى الى مواصلة العمل نحو غاية أسمى، على أن هذا لا يبين عكس استماتق، فلو
 أحسن حضرة الناقد ظنه بى وتنبلى عن نفوره لما شق عليه أن يرى تعجب العظيم فى

هضم قصة طويلة شاقة كهذه ثم في وضعها وضعاً فنياً بكل أمانة، بحيث لم أكن مؤلفاً وشاعراً فقط بل مخرجاً فنياً أيضاً، ولأدرك مبلغ شغفي بالتجديد في الأوزان ومزج البحور ونضرة الشعر المرسل والشعر الحر، وكيف أن أوضاعي النظامية مساعدة على التلحين الأوروبي النزع ومهمة المحيننا بدليل اعترافهم بأنفسهم بذلك وهذا نتيجة شغفي شخصياً بتلحين شعري أثناء نظمه . ولكن حضرة الناقد نسي أو تناسى هذه الحقائق بينما أعمال مستقلة في موضوع جديد لا مشق له في الأدب العربي غير أنني لا أقول في ذمة الأدب جهدي، فقلت من يعادى النقد العادل وإن أسفت للتجاهل والتحاميل، وتكفيني لذتي الفنية وإخلاصي، ولن يكون سروري بانتاج غيري القيم بأقل من سروري بتوفيق

الاسكندرية في ٢٣ مارس سنة ١٩٢٨ احمد زكي ابوشادي

العصور — نتمنى أن يبلغ الاستاذ أبي شادي ذلك الشأو الذي يطلبه من وراء جهده ونجل فيه العمل لوجه الفن خالصاً من كل الأغراض الأخرى. غير أننا هذا لا نجد في عباراته من برهان يتنعنا بعكس ما ذهبنا اليه في نقدنا الأول. فإن كلمة « شكوك » في النشيد لم توضع إلا لمجرد « سد الفراغ » لأشياء غير هذا. ولا أدري كيف يمكن أن يدقيق المعنى استقامة اتساق ذهني مع وجودها كلعثرة في وسط الطريق الممهودة. أما استدلاله بكلمة Doubts فاستدلال مع الفارق البعيد. لأنه لا يستطيع مطلقاً أن يثبت أن ما يدرك الانجليز من معاني مفرداتهم ادراك وجدان هو بذاته ما ندرك من الكلمات التي وضعناها لتقابلها في لغتنا. أما إذا كان هذا معنى التجديد عند الاستاذ، فاني ولا شك أكون أول المتمتنعين. بأنه تجديد ولكن الى الهاوية . وليلاحظ الاستاذ دائماً أن نقل معنى من لغة الى لغة يجب أن يراعى فيه أصول اللغتين والمعاني التي تنطوي عليها مفرداتهما. فإنا إذا لم نراع الفروق الكثيرة بين الأصول اللغوية ومشتقاتها ومعاني مفرداتها كما تقوم في أذهان أصحاب اللغة أنفسهم وما تنقل من دقيق التعبيرات الوجدانية، لا المعاني الظاهرة وحدها، يكون تجديدنا أشبه الأشياء بنقل الروح من جسم الى جسم، لا يؤمن استيعابها منه ونفورها من تقاطيع المستجدة عليها .